

أدب الطفل

فاطمة شرف الدين: مخاطبة القراء الصغار
تجمع بين الأخلاق والجمال

ظروف الحياة فرضت انطلاقة متأخرة لفاطمة شرف الدين (1966) في عالم ادب الطفل. هي التي كانت شغوفة بعالم الطفل البريء والمدهش في الوقت عينه. يمكن القول ان هذه الكاتبة لم تتخل اصلا عن الطفل الذي كاتته، والا كيف استطاعت جذب هذا الكائن الصغير الى قصصها؟



الكاتبة فاطمة شرف الدين.

الاقليمية" عام 2011 عن كتابها "فاتن". بعد هذا الباع الطويل في عالم ادب الطفل، اتجهت منذ سنوات الى ادب الناشئة، لتصدر كتابين، وتستعد اليوم لكتابها الثالث الذي يقارب موضوع فقدان الشهية العصبي لدى المراهقات وهوسهن بالمظاهر. "الامن العام" التقت الكاتبة اللبنانية في حوار حول مسيرتها وادب الطفل في لبنان والعالم، وسط المخاطر الكثيرة التي تجعل القراءة اشبه بهواية في طور الانقراض!

■ انت اليوم كاتبة مكرسة لبنانيا وعربيا. ما الذي اخذك الى ادب الطفل؟
□ حين قررت الكتابة في مجال ادب الطفل، جاء ذلك انطلاقا من قرار واع. طبعا كنت احب الكتابة واملك الكثير من الافكار. الا ان الامر ايضا جاء من باب الحاجة الشخصية الى ذلك. اذ ان ولدي كانا صغيرين، وحين كنت اتي الى لبنان لشراء كتب لهما، لم اكن اجد شيئا في مستوى الكتب الاجنبية للاطفال التي كانا يقرأنها. لذلك، قررت ان ادخل هذا المجال الذي هو تخصصي في المقام الاول، فانا تخصصت في ادب الاطفال والتربية والادب العربي. حين انجزت كتيبي الاربعة الاولى، كتبتها باللهجة اللبنانية، لكن دور النشر رفضتها لانها لن تباع الا في لبنان. فاضطرت الى اعادة كتابتها باللغة العربية الفصحى. حظيت بنجاح وبدأت الدار ("دار اصالة") تطلب مني كتابة المزيد من كتب الاطفال. في تلك الفترة اي عام 2004، كان العالم العربي كله بدأ يبدي اهتماما بادب الطفل. السبب الاساسي لذلك هو التمويل الذي قدمه الاوروبيون في هذا المجال، وهذا ما ساعد الناشرين.

فاطمة شرف الدين الكاتبة التي عاشت متنقلة بين الولايات المتحدة وبلجيكا قبل استقرارها النهائي في لبنان قبل سنوات، حازت اجازة تربية مبكرة من الجامعة اللبنانية الاميركية، الى جانب شهادة ماجستير ادب عربي حديث من جامعة اوهايو، وعملت في سلك التعليم بين عامي 1996 و1998. كانت العدة تقريبا جاهزة، حين قررت الاستسلام الى شغفها منذ عام 2004. في تلك المرحلة، كان لبنان على استعداد لفورة سيشهدها في مجال ادب الطفل الذي كانت فاطمة من رواده. اذ ساهمت في ترسيخ ادب معاصر يحاكي الصغار وهمومهم وانشغالاتهم وهو اجسامهم.

نقطة على السطر

وداعاً هي عريضة
"ليدي" الزمن الجميل

لم تكن مي عريضة (1926 - 2018) يوماً جندية مجهولة تقف وراء صرح فني هو مهرجانات بعلمك الدولية. لقد ولدت هذه المرأة لتكون نجمة على طريقها الخاصة، فبنت اسطورة موازية لمهرجانات بعلمك، بشخصيتها الساحرة، وطلتها الراقية وتسريحتها الشينيون، وانجازاتها التي جعلتها مثابة احد عواميد المهرجان العريق، وحارسة ذاكرته الممتدة منذ الخمسينات.

انطلقت مي عريضة الشهر الماضي عن عمر ناهز 92 عاما، طاوية ايضا مسيرة تختصر تاريخ لبنان الفني، هي التي بزغ نجمها خلال البواكير الاولى لترسيخ هوية لبنانية فنية، وساهمت في ابرازها وتظهرها على ادراج بعلمك من خلال دعوة اسماء استحات رموزا في تاريخ الاغنية اللبنانية، وحفرت مكانها في الوجدان الجمعي.

لكن، لنعد الى بداية القصة. نحن في احد ايام العام 1955. مي عريضة تصر على صديقتها ونسيتها زلفا شمعون (زوجة الرئيس الراحل كميل شمعون) كي ترافقها لمشاهدة عرض عن نص كورناني "بوليوكت" تقدمه فرقة جان مارشال الفرنسية في معبد باخوس. هناك، ذهلت الصديقتان بما رآته، واطرقت زلفا عائدا الى منزلها، لتخبر الرئيس عن سحر تلك الليلة. حينذاك، كانت فكرة اقامة مهرجان سنوي ضخم يفرض نفسه على الساحة الثقافية والفنية في العالم، حلما يراود الرئيس في تلك الحقبة التأسيسية من تاريخ لبنان الفني. هكذا، دعا 70 شخصية لتمويل الفكرة، واسس لجنة من 12 شخصا ترأستها إيمي كنانة. واولك الى مي كارلوس عريضة مهمة ادارة الشق الموسيقي والباليه والاوربا، وسلوى السعيد قسم المسرح.

هكذا انطلق في عام 1956 المهرجان الذي ستتوالى على خشبته اسماء ورموز وعمالقة في الفن والمسرح والموسيقى. سريعا، ستصبح عريضة عام 1967 نائبة الرئيس، ثم رئيسته من عام 1973 حتى عام 2011 حين سلمت المشعل الى نائلة دو فريج.

مع مرور السنوات التصقت مي بعلمك، حتى لكأنهما استحالوا توأما. ساعدت علاقاتها وشخصيتها الديبلوماسية في نسج صداقات ساعدتها في استقدام عمالقة شكلوا ذاكرة القرن العشرين الى ادراج بعلمك. هكذا، توالى قائد الاوركسترا والمؤلف الموسيقي النمساوي هوبرت فون كارايان، وريختر، وروستروبوفيتش، مروراً بالشاعر والمسرحي الفرنسي جان كوكتو، والراقص والكورغراف الاسطوري موريس بيجار الذي يعتبر احد مؤسسي الرقص المعاصر في العالم، وصولا الى اسطورة الجاز ايليا فيتزجيرالد وفرانك سيناترا وأم كلثوم وغيرها من المحطات الاساسية في ذاكرة بعلمك.

كانت مي عريضة مسكونة بالمهرجان، حتى انه خلال توقفه في عز الحرب الاهلية، صرحت ان اللجنة ظلت تجتمع دوريا في تلك الفترة، وكانت مي ايضا حارسة لارشيف المهرجان من الضياع. هذا ما دفع المخرج المسرحي اللبناني نبيل الاظن الى كتابة سيرة "مي عريضة حلم بعلمك" (منشورات المجلة الفينيقية) حيث استعادت ذكرياتها وتلك الحقبة الملأى بالوعد والامال.

انطلقت مي عريضة في زمن آخر: زمن ذوت فيه هذه الاحلام، واستحاتت فيه المنطقة على فوهة بركان، وانحسرت خشبات الفن والثقافة الذوق وتقهرت المسارح حتى الهجران. اليوم نوجه تحية اخيرة الى "ليدي" الزمن الجميل التي رحلت قبيل افتتاح دورة جديدة من مهرجانات بعلمك العريقة. تحية اجلال، واعتراف بالجميل لكل ما فعلته للثقافة اللبنانية. وندعو مجددا الى حفظ ارشيف الكبار، وتعليم مسيرتهم للاجيال المقبلة... اذ لا امة عظيمة من دون استمرار وتكامل واحتفاء بالذاكرة الجماعية!

سعير مراد

■ ما رأيك في هذا الادب قبل الفورة التي شهدناها خلال العقد الاخير اي مرحلة ما قبل الالفين؟

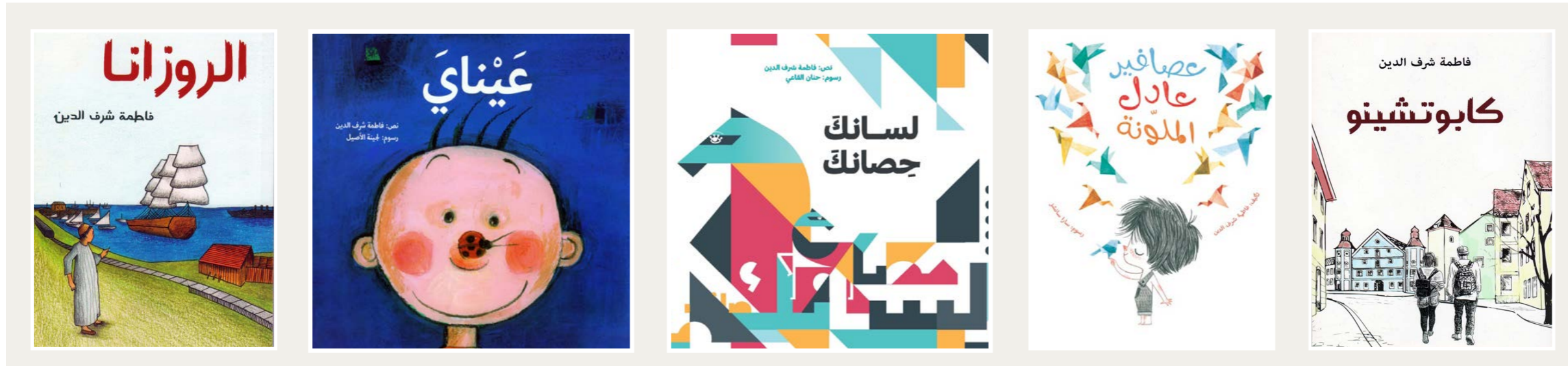
□ كان ادبا يعتمد على الترجمات، وعلى القيمة التجارية للكتاب. لم يكن هناك تخصص في كتابة ادب الطفل، بل حتى اللحظة ليس هناك تخصص في ادب الطفل او الرسم للاطفال في الجامعات. لذا، ككاتبة، كان علي الاتكال على نفسي، والاتحاق بورش في الخارج. قبل العام 2000، كانت هناك دار واحدة جديّة في هذا المجال هي "دار الحدائق" ولو ان لها توجهها فكريا محددا، وما زالت حتى اليوم.

■ سيطرت النبرة الوعظية على مختلف الاعمال الموجهة الى الاطفال في مرحلة من المراحل. في رأيك هل تساهم هذه النبرة في تقرب الطفل من القراءة؟

□ بل على العكس تماما. الوعظ ينفّر الطفل من القراءة، فهو دوما خاضع لاملاءات البالغين. لذا، حين يختار قصة لمطالعتها، هو يفعل هذا بدافع الاستمتاع، وهو لا يتوقع ان يتلقى درسا اخلاقيا مباشرا. يمكن تمرير كل الافكار بطريقة سلسة وممتعة من دون وعظ مباشر. لنعد الطفل يفكر من دون تلقينه الدرس. اللغة الجميلة والرسوم البصرية هما عنصران مهمان جدا في ادب الطفل، الى جانب المحتوى طبعا.

■ هل تعتبرين ادب الطفل من الاجناس الادبية الصعبة؟

□ الاطفال كائنات ذكية وحساسة جدا. عندما تريد ان تقدم اليهم كتابا، فانت امام تحد كبير هو محاربة الوسائل التكنولوجية الجديدة التي تجذب الطفل كثيرا. اي انك امام تحدي تقديم شيء اكثر جاذبية بالنسبة الى الطفل من كل هذه المغريات. اضف الى ذلك مشكلتنا الحالية مع اللغة العربية. فالاولاد لا يتحدثون لغتهم والاهل لا يتكلمون معهم بالعربية، وطبعا لا يقرأون العربية. كثيرة هي ◀



التحديات، الى جانب صعوبة ادب الطفل بحد نفسه، اذ عليك تأليف قصة جميلة تحوي كل عناصر القصة، لكن فقط بـ 500 كلمة. اي اختزالها وتكثيفها بهذا العدد القليل من الكلمات ضمن لغة جميلة وجذابة توصل المعنى من دون لف ولا دوران ولا تكرار. يجب ان تعرف مستوى اللغة التي يجب ان تستخدمها، الى جانب المستوى العاطفي والاجتماعي والفكري للشريحة التي تتوجه اليها. يجب ان تكون واعيا ايضا للجانب السيكولوجي حين تريد مقارنة الموت او الطلاق مثلا وتقديمه الى الطفل في قالب قصصي مسؤول. يجب ان تقدم اليه ادبا يعالج مشكلاته ويساعده على تخطيها ويجعله يتماهى مع شخصيات القصة. في المقابل، حين تكتب ادبا للكبار، تتمتع بحرية ومساحة وهامش اكبر، والاسهاب في الكتابة سهل، لكن الاختزال هو الصعب.

■ كيف تستوحين مواضيع قصصك الموجهة الى الطفل بشكل خاص؟
□ حين بدأت الكتابة في ادب الطفل، كنت اعتمد في البداية على ذكريات طفولتي وعلى امور كانت تشغلني انا حين كنت طفلة. اي ان الكتابة صارت نوعا من علاج نفسي بالنسبة الي، وايضا استلهم موضوعاتي من حياتي مع ولدي حين كانا صغيرين. كما عملت كثيرا مع الاطفال في المدارس الاميركية عندما كنت مقيمة هناك. اذكر مواقف ومشاعر واحاسيس، وهذه الاخيرة هي غالبا ما يقودني الى القصة التي اكتبها اكثر من المواقف في ذاتها. حاليا، استلهم الموضوعات مما اعاشه في لبنان. مثلا، حين كتبت "كابوتشينو" (موجه الى الناشئة)، استوحيت موضوع العنف الاسري من الحوادث وجرائم قتل النساء التي شهدناها في السنتين الاخيرتين في لبنان. لانجاز القصة، اجريت ابحاثا كثيرة وقصدت جمعية "كفى" المعنية بالمرأة ووضعتني على اتصال مع نساء كن

خاصة مع الاطفال الذي عاشوا نوعا من الصدمة او التروما، اي الاطفال اللاجئين، او الذين عانوا من الحروب مثلا.

■ حتى في كتبك، هناك مواضيع تتعامل مع الحرب والموت؟
□ اجل اجل، لدي مثلا قصة "جدتي والقمر" التي تقارب تيمة الموت. هنا، اقدم قراءات منها في المدارس واقدم نقاشات وانشطة حولها مع الاطفال، كأن اجعلهم يرسمون او يكتبون قصتهم الخاصة عن هذا الموضوع.

■ ما هي ابرز المشاكل التي يواجهها الكاتب في دور النشر اللبنانية؟
□ ما نعاني منه في دور النشر اللبنانية هو غياب المحرر، بمعنى محرر متخصص في ادب الاطفال يتلقى النص من الكاتب ويبيد رأيه فيه ويقيم المضمون والحبكة، ويقترح اجراء تعديلات في اللغة والمضمون، مثل اعادة كتابة النهاية، او حذف مقاطع معينة، او تقييم ملامح الشخصيات في العمل. لا يوجد محرر هنا يقوم بذلك، وانا الجأ الى اصداقائي واقاربي وولدي لقراءة القصة وابداء الرأي بها قبل النشر. س.م.

يجب ان نقدم ادبا يساعد الطفل على تخطي مشكلاته

كخادمة. تشعر فاتن انها مغبونة لانها اجبرت على ترك المدرسة والقرية على خلفية الحرب اللبنانية. كنت ارغب في كتابة هذا الموضوع لانه ايضا عن الحرب التي تربينا فيها. بعدها، انجزت كتاب "غدي وروان" (2012) الذي يحكي قصة ولد يعرض عليه زملاؤه في المدرسة شراء الحشيشة. وحين يرفض، يتعرض لمختلف اشكال المضايقات والتنمر. طبعا، اختار دوما النهايات الايجابية في قصتي.

■ ذكرت سابقا ان الكتابة كانت في البداية نوعا من العلاج، فهل يمكن ان تكون القراءة نوعا من العلاج للطفل؟
□ طبعا، هناك نوع يدعى "البليوثراپيا"، او "العلاج بالقراءة"، وهذا تخصص قائم في ذاته. يُستخدم هذا العلاج بصفة

وهناك الصالح والطالح. احيانا، نرى مستوى عاليا في المجال البصري، لكن المضمون هزيل. وهناك جهل حقيقي من بعض الكتاب بادب الاطفال. تعجبني نبهة محيدلي في "دار حدائق". على المستوى العربي، يعجبني وليد طاهر الذي يكتب ويرسم، واعتبره احد اهم فناني ادب الطفل.

■ بعد العديد من القصص الموجهة الى الطفل ونيلك جوائز كثيرة عنها الى جانب ترجمتها الى لغات عدة، توجهت في السنوات الاخيرة الى ادب الناشئة، لماذا؟
□ لانني شعرت بوجود نقص في هذا المجال في مقابل فورة في ادب الطفل. عدا انني حين بدأت كتابة ادب الطفل، اوجدت اسلوبا خاصا وسلسا، وصار كثيرون يقلدونني. اما ادب الناشئة عندنا، فيقتصر على اعمال جبران خليل جبران، ومي زيادة، ومارون عبود، واملي نصر الله، اي ما تربي عليه جيلنا نحن. الاسلوب بات قديما، لذلك قررت خوض هذا المجال. بدأت مع كتاب "فاتن" (2010) الذي يحكي عن فتاة فقيرة تعيش في قرية عام 1985. يجربها والدها على ترك القرية والذهاب الى المدينة للعمل

جائزة. لا يمكن عدم الحديث عن الحرب بالنسبة الى شخص عايشها. كما اعتقد انه لا يمكن عدم الحديث في السياسة في ادب الطفل، لكني افعل ذلك بطريقة غير مباشرة والطفل حتما سيفهم. مثلا، عندي كتاب بعنوان "العمة زيون وشجرة الزيتون". القصة بسيطة عن زيون العجوز التي تعيش على رأس الجبل مع شجرة الزيتون التي تظلل المنزل. تحكي القصة عن تشابه شجرة الزيتون والعجوز، بما تحمله شجرة الزيتون من معان ورمزية واحالة الى فلسطين. هكذا امر الافكار، من دون مباشرة. هناك قصة اخرى بعنوان "لمن الزيتون" عن بيتين تتوسطهما شجرة الزيتون. واهل كل بيت يعتبرون ان الزيتون لهم وحدهم. يتشاجرون على الشجرة ويبدأون بتناشها حتى تسقط حباتها وتأتي العصافير فتسرقها في اشارة اليها نحن. هذه القصة سياسية ايضا. يخلصون في النهاية الى تقاسم الزيتون في الموسم المقبل.

■ ما راك في ادب الطفل اليوم في لبنان؟ وهل من اسماء معينة تعجبك في هذا المجال؟
□ هناك طفرة كبيرة في ادب الاطفال

اتحايلك على الخطوط الحمر بوضع الكلام الممنوع على لسان الحيوانات

ضحيات العنف الاسري. هكذا جعلت الموضوع خاصا وشخصيا كي استطيع الكتابة عنه.

■ هل هناك خطوط حمر معينة في المواضيع التي تقاربينها في ادب الطفل؟
□ طبعا، هناك مواضيع ممنوع الكتابة عنها وفق معايير الناشر مثل الصداقة بين فتاة وصبي، ولا يمكن الكتابة عن طفل يثور على اهله او معلمته، او الحديث السلبي عن المدرسة. لذا، اتحايل احيانا بوضع الكلام الممنوع على لسان الحيوانات مثلا.

■ الحرب موجودة في قصصك؟
□ اجل، هناك كتاب انجزته بعنوان "في مدينتي حرب" ترجم الى لغات عدة، ونال